صيانة المجموعات الأثرية لمخزن متحف جميلة

د. سليم عنان

معهد الآثار – جامعة الجزائر -2-

تعتبر المخازن الأثرية من الأماكن الأساسية و المهمة داخل المتحف، حيث لا يجب علينا أن نتخذها ككهوف أو نخلطها بمخازن الحبوب و الغلال، علما بأن أكبر حصة من المجموعات هي محفوظة بالمخزن الأثري.

إن المخازن الأثرية لمتاحفنا الوطنية و متاحف المواقع، هي في حالة سيئة جدا، و من بينها متحف موقع جميلة الذي يتميّز بغنى و ثراء مجموعاته و التي سمحت لنا، من خلال دراستها، بمعاينة حالة حفظ التحف و البحث في نوع و طريقة التخزين لمواد أثرية مختلفة، أضف إلى ذلك أن مخزن متحف جميلة يمثل أو يعرض عنّا مثالا حيّاً عن التسيير السيئ للمجموعات (مساحات غير ملائمة للتخزين، نقص العمال، النقص الفادح للوسائل المالية، إهمال، ظروف مناخية غير مناسبة...إلخ)، و كذلك عدم وجود جرد أثري للمجموعات و حالة التلف المتقدمة جدا لبعض المواد الأثرية بسبب الظروف السيئة لتخزين الأثاث الأثري.

تمتلك متاحفنا مخازن على شكل مستودعات فقط، لا تلعب، تماماً، الدور الحقيقي لها، فمن واجب المسؤولين عن المتاحف الأثرية أن يولوا أهمية لهذا النوع من المساحات و يعملون على إعادة تهيئة المخازن الأثرية بطرق و تصاميم تتماشى مع المقاييس الدولية للصيانة و الحفظ.

المخزن ليس مقرا أين توضع فيه الأشياء التي لا نحتاج إليها و لا فائدة منها (ملصقات معارض، أثاث أو أدوات مكسرة، أوعية طلاء ......إلخ)، بل يعتبر مساحات جد هامة مخصصة لاحتضان الأدوات الأثرية المتحفية و العمل على المحافظة عليها. إذن، فمن أولويات هذه المساحات أن تصمم بإتقان محكم و أن يُحافظ عليها جيدا.

أما بالنسبة لمكان المخزن داخل المتحف، ففي اللحظة التي نريد فيها رسم مخططاً لإنشاء مخزن أثري جديد، أو إعادة تهيئة مخزن، يجب علينا أن نستدعي محافظون – مرممون مختصون، فهم الأحسن في تحديد نوع العتاد الذي يجب أن يكون داخل المخزن، و كذلك في تعيين الإستعمال الأفضل للمساحات و الظروف البيئية الملائمة للأدوات الأثرية التي ستدخل المخزن.

مخزن متحف جميلة الأثري

نستطيع أن نرجع تاريخ إنشاء مخزن متحف جميلة، الذي كان على شكل مستودع في البداية، إلى السنوات الأولى من الحفريات، أين هُيِّئت قاعة صغيرة بوسط مدينة جميلة، ليس بعيدة عن المتحف (مقهى أحد المواطنين حاليا)، كانت توضع فيها كل التحف الصغيرة (فخار، مصابيح زيتية، زجاج، نقود ...إلخ) المكتشفة خلال الحفريات.بينما كانت تُخزّن القطع الكبيرة المكتشفة (النقيشات، التماثيل، التيجان و غيرها) داخل إصطبل بوسط المدينة أيضا، هُيِّئ هو الآخر لاحتضان المكتشفات و كان محروساً من طرف أحد العمال الذي عُيِّن من طرف المسؤولين عن الحفريات آنذاك.

ثم بعدها بقليل تم بناء قاعات صغيرة لاصقة مع المتحف على شكل مكاتب (إدارة) و فيها هيّئ فضاء في الطابق العلوي، استعمل كمخزن (Grenier) بل مستودع لاستقبال الآثار المكتشفة (أنظر الصورة).

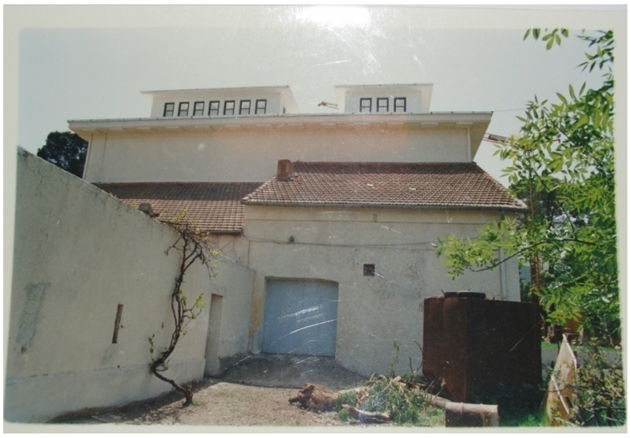

مخزن المتحف مؤقتا من الجهة الخلفية

و في سنة 2001 و خلال أعمال التهيئة، تم هدم كل الجهة المتعلقة بالإدارة و المخزن، و ذلك لفصلها عن المتحف، لأن المياه كانت تتسرّب من سقف القاعة التي خُصّصت لتخزين الأدوات الأثرية. و بعد فصل الكتلتين (المتحف و الإدارة القديمة) عن بعضهما، لوحظ أن فسيفساء حمامات الإلهة فينوس التي كانت على الجدار الشمالي للمتحف، أصبحت لا تعاني من عوامل التلف و المتمثلة في الرطوبة خاصةً (أنظر الصورة).

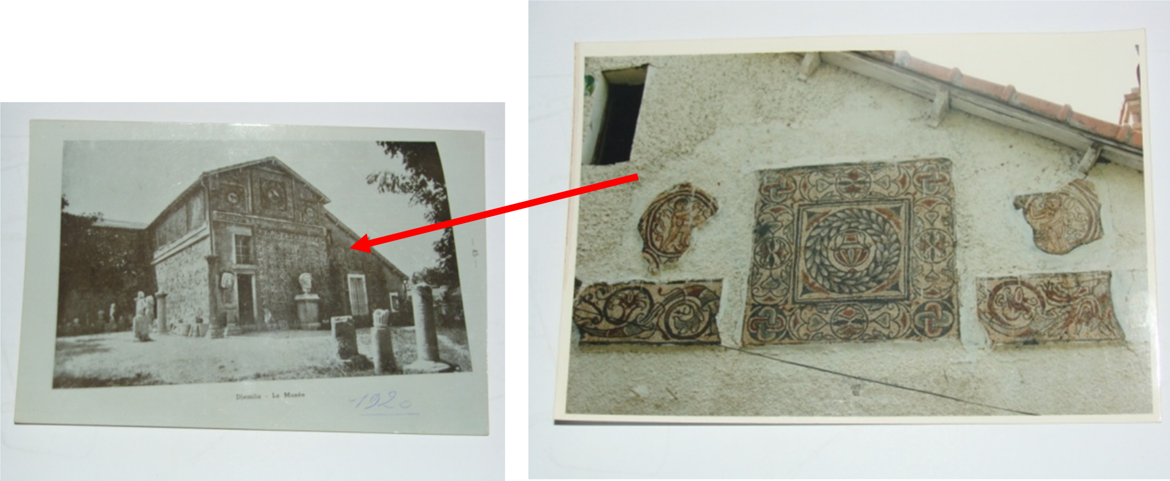

فسيفساء بالجدار الشمالي للمتحف

و في نفس السنة (2001) تم إعادة تهيئة كل المبنى على شكل مخزن للتحف الأثرية (المخزن الحالي)، حيث قُسّم إلى قاعة أولى على المستوى الأرضي، مساحتها الكلية 37 م^2، أين قُسّمت بدورها إلى فراغين لهما نفس المساحة: خُصّص الفراغ الأول لتخزين كل المجموعات الأثرية المتكونة من عدة مواد مختلفة، في الحقيقة، هي مجموعات كثيرة لا يمكن لحيّز صغير كهذا من احتضانها؛ بينما هُيّئ بالفراغ الثاني فناء صغير (Hall) وُضعت فيه بعض التحف الحجرية، و درج يؤدي إلى الطابق الأول الذي هيئت فيه خمس مساحات أخرى تابعة للمخزن، كل واحدة منها تقدر مساحتها بـــ: 37 م^2. و التي سميّت حسب المخطط بقاعة الترميم (أنظر المخطط و الصورة).

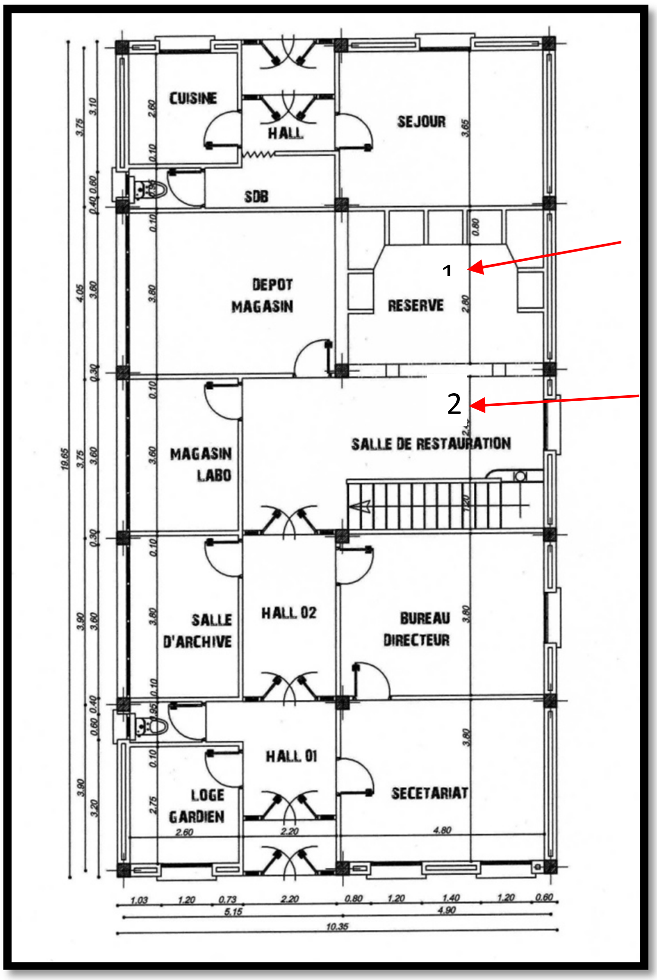

الهيكل الإداري للمتحف **سلم: 100/1**

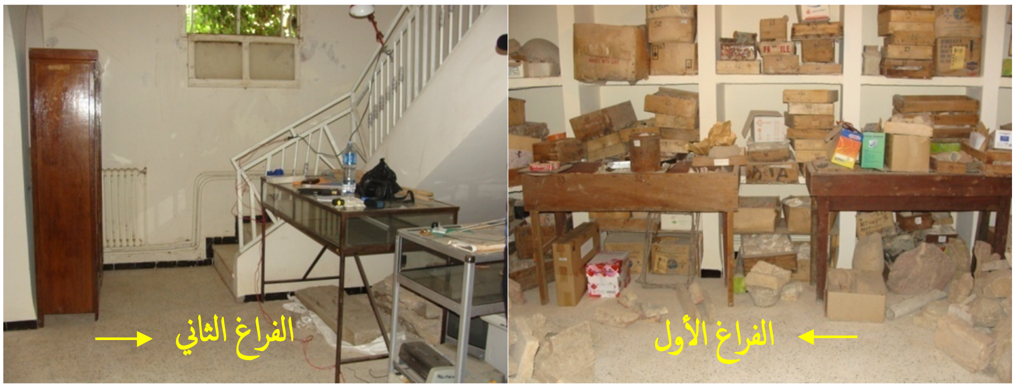

قاعة المخزن الأولى

مسار أو مراحل تنقل المجموعات من الحفرية إلى المتحف

تخص هذه النقطة مراحل تنقل المكتشفات الأثرية من مصدرها الأول، ميدان الحفر، إلى مقرها الأخير، المتحف أو المخزن، و قبل ذلك يجب علينا التعريف بمفهوم الأثاث الأثري الذي هو مجموع المواد أو اللقى المستخرجة خلال عمليات الحفريات الأثرية، كما يمكنها أن تكون مواد عضوية و غير عضوية، و يعني هذا، تحف فخارية، معدنية، زجاجية، حجرية، عظمية، خشبية، نسيجية ......إلخ.

إن الفوائد التاريخية و العلمية للتحفة تساعد على معرفة الإنسان داخل محيطه و تساهم كثيرا في تطور البحث الأثري، و الفوائد الثقافية و التراثية للتحفة لا تقل أهمية عن سابقتها، حيث أن التحفة تعتبر شاهداً ثقافيا و تراثيا يمثل ذاكرة و هوية الإنسان، مخترعها، فهي تمثل فائدة بيداغوجية تربوية و إعلامية أولية مهمة، و ذلك بنقل رسائل ثقافية للأجيال القادمة. يجب الإشارة كذلك إلى القانون التشريعي للمجموعات الأثرية المكتشفة على الأرض، تحت الأرض أو تحت الماء الذي يعتبر عنصراً مهماً جدا في سيرورة صيانة المجموعات المتحفية، و إن القانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي الذي يحتوي على عدة مواد و نصوص تذكر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حماية المجموعات الأثرية لدليل على ذلك.و في الأخير يجب علينا أن نذكر الحفريات الأثرية و الدور الكبير الذي تلعبه في إثراء المخزون الأثري بالجزائر و كيفية تنقل الأثاث و الصعوبات التي تواجهه خلال مساره، و حتى عند وصوله إلى المطاف الأخير.

جرد المجموعات:

كل المجموعات الأثرية المتواجدة بمخزن متحف جميلة غير مسجلة في الجرد الأثري للمتحف، و بالتالي نجدها معرضة للسرقة في أي لحظة من الزمن تتاح فيها الفرصة لمن يريد المساس بممتلكاتنا الثقافية.نشير إلى أن هذه الأدوات الأثرية لا تحتوي على أي وثيقة تبين مصدرها (أنظر الصورة)، أو تتعلق بالحفريات الأثرية القديمة (تقارير حفريات وافية، صور، مخططات، جرد للعتاد الأثري المدروس.....إلخ).

عدم إحتواء التحفة على أي وثيقة تبين مصدرها

كل هذه الوثائق تعتبر ضرورية و أساسية للقيام بالجرد العلمي للتحف و العمل على استمراريته، بإعادة تنظيم و تسيير مجموعات مخزن المتحف.تجدر الإشارة هنا إلى بعض المعلومات الضئيلة جدا (أرقام)، موجودة على العلب، لسنا ندري ما المقصود منها، و البعض الآخر تشير إلى مصدر التحف تكاد تزول تماما بسبب التعفنات و الجراثيم التي تزداد يوما بعد يوم في غياب المراقبة الدورية الدائمة من طرف المختصين المسؤولين عن صيانتها (أنظر الصورتان).

خلال العمل التطبيقي الذي قمنا به داخل المخزن الأثري لمتحف جميلة، تمكّنا من إحصاء، على الأقل، عدد اللقى الأثرية المخزونة داخل مستودع المتحف، و التي لم تُحص منذ وضعها من طرف الفرنسيين خلال أعمال الحفريات. قُدّر عدد المقتنيات الأثرية بــ: 7491 قطعة، مقسّمة على 122 صندوق (صناديق خشبية و حديدية و أخرى من الورق المقوّى).

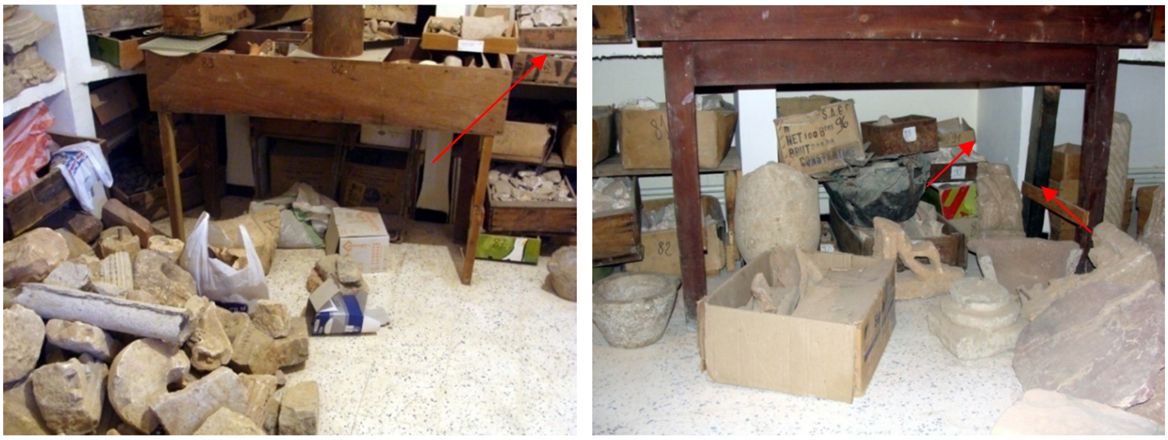

بطاقات صغيرة مهترئة و غير واضحة

وضعية المجموعات داخل المخزن

إن الوضعية التي تتواجد عليها المجموعات الأثرية لمخزن متحف جميلة هي مزرية جدا، حيث وضعت بطريقة عشوائية لا تتماشى بتاتاً مع المقاييس الدولية لعرض و تخزين المجموعات. نجدها وضعت في كل مكان من القاعة الموجودة في الطابق الأرضي و التي تشغل مساحة ضيّقة جدا (17 م^{2})، مقارنة مع الكم الهائل للأدوات الأثرية المخزونة. (أنظر الصورة).

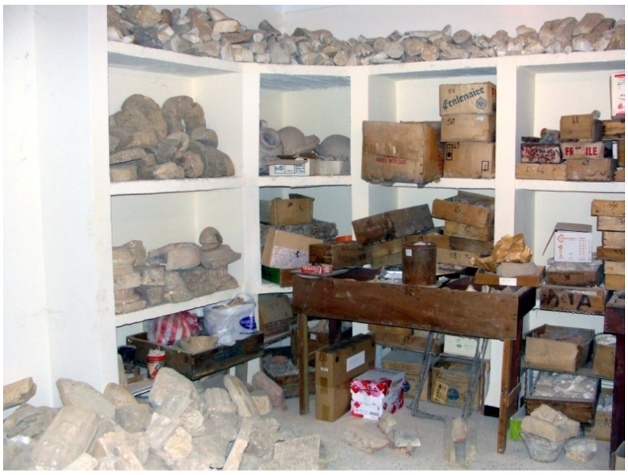

وضع التحف بطريقة عشوائية

لم تستغل المساحات، التي خصّصت للمخزن الأثري، إستغلالا جيدا لتوزيع اللقى على أطرافها، حيث نجد أغلبها منشورا إعتباطيا في قاعة واحدة، بينما القاعات الموجودة في الطابق العلوي، فارغة تقريباً و دون إستغلال (استعملت لأغراض أخرى) (أنظر الصورة).

قاعات موجودة في الطابق العلوي غير مستغلة

حوامل و تلفيف الأدوات الأثرية

وُضعت الأدوات الأثرية في علب من الورق المقوى الحمضي، رغم هشاشة و حساسية بعض المواد (الزجاج، الأدوات العظمية، القطع البرونزية ....)، إلا أننا لاحظنا تكدّس هذا النوع من المواد في العلب دون أي مادة حشو أو حماية أو حامل ملائم، و هذا يؤدي بطبيعة الحال إلى الكشط و الإنحتات و إلى هشاشة المجموعات... نستطيع أن نعطي على سبيل المثال وضعية مجموعة الزجاج التي هي معرّضة إلى خطر كبير: نجدها وُضعت أحيانا لوحدها في علب من الورق المقوى بدون أي مادة تحميها، و أحيانا أخرى مع مجموعات أخرى من مواد مختلفة (برونز، فخار ....) في نفس العلبة، الشيء الذي يتسبب أكثر في الكسر و الكشط للمادة الأثرية. (أنظر الصورة).

مجموعة الزجاج مع الفخار و البرونز في نفس الصندوق

الحلول المناسبة لصيانة الادوات الاثرية

للمخزن الأثري شروط يجب أن يسير عليها للحصول على تسيير محكم للمجموعات و صيانتها؛ هذه النقطة سنقدم فيها بعض الإقتراحات و الحلول التي رأيناها مناسبة لحفظ التحف الأثرية، و تتمثل في تصور جديد لتسيير المجموعات داخل المخزن، و قبل ذلك يجب علينا التعريف بالمخزن الأثري و أهميته البالغة في المؤسسة المتحفية و الدور الكبير الذي يلعبه في صيانة المجموعات.

فالمخازن الأثرية التي تنتمي إلى المتحف أو إلى أي مؤسسة أخرى هي مسؤولة عن تسيير المجموعاتو تعتبر أماكن ذات أهمية بالغة، لأنها تحتوي على أكثر نسبة من المجموعات محفوظة بداخلها، لكن في أغلب الأحيان لا يُعطى لهذه الفضاءات أهمية كبيرة لأسباب عديدة نستطيع أن نذكر منها: إنعدام الوسائل اللازمة لضمان حمايتها الدائمة، وجود أولويات أخرى داخل المتحف، نقص المساحات المخصصة لها و صعوبة ضمان السير الحسن للمجموعات.

تعتبر المخازن حاليا "القلب النابض" للمؤسسات المتحفية، و يجب أن تكون للمحافظين و مسؤولي المتاحف من الأولويات و من إهتماماتهم الأولية في البرمجة و التسيير.

و تقول "كين سوزان"، مسؤولة المجموعات بمتحف العلوم بمدينة لندن، في مقال نشرته بمجلة: (Musée des arts et métiers): "من الأفضل أن نقول مجموعات الدراسة، و لماذا تعتبر المخازن رئة المتحف ؟"[1]

كما يقول "سيكيلوني جيوفاني": "حياة المتحف على العموم، تتوقف على مخازنها، بشرط أن تكون منظّمة، مجهّزة جيداً، قادرة على ضمان صيانة جيدة، من البحث العلمي إلى ترقية و تعزيز الثقافة."[2]

---

[1] - Keene (S.), « Les collections d'étude du Science Museum », dans : Musée des arts et métiers, La revue **10**, Paris, 1995, pp. 11-16.

[2] - Scichilone (G.) et Feilden (B.M.), « Dialogues pour une architecture adaptée aux musées », dans : Museum XXIV, revue trimestrielle, UNESCO, n° 1, 1982, p. 16.

تعتبر المخازن الأثرية من الأماكن الأساسية و المهمة داخل المتحف، حيث تمس أغلب وظائف المؤسسة المتحفية كصيانة الأدوات الأثرية، الدراسة و البحث....فلا يجب علينا أن نتخذها ككهوف منسيّة أو نخلطها بمخازن الحبوب و الغلال.

كما يبين "Jaoul" في مقال نشره بمجلة: (Muséum international)، حقيقة المخازن بالنسبة لعمال المتحف و كذا المهام التي يجب عليها و يمكنها أن تؤديها. يبين كيف للمخازن، باندماجها في وقت مبكر في سياسة و برنامج المتحف، أن تخص و تمس كل عمال المتحف و تلعب دوراً أساسياً في حياة المتحف.[3]

ملاحظات حول مشروع مخازن متحف جميلة

بعد المعاينة التي أجريناها بمتحف جميلة الأثري و على وجه الخصوص كيفية توزيع الفضاءات داخل المخزن و حسب مخطط المتحف المنجز من طرف المهندس، تبين أن:

– المساحة المخصصة لتخزين المجموعات صغيرة و ضيقة و لا تكفي مقارنة مع الثروة الأثرية الكبيرة التي يحتويها موقع جميلة المصنف عالميا. يجب الإشارة هنا إلى عدد التحف المعروضة في فضاءات صغيرة بالمخزن و لا تليق بها إطلاقا، هذا من جهة. و من جهة أخرى، يجب الأخذ بعين الإعتبار توسعة المكان تحسُّباً لحفريات أثرية أخرى في المستقبل.

– إن فكرة إنشاء قاعة واحدة و بهذه المساحة (17 م^2) لتخزين المجموعات، غير منطقية تماما لأنها لا تمكّن من ترتيب المجموعات حسب نوع المادة و حساسيتها للعوامل البيئية.

– المساحة المخصصة للترميم في الطابق العلوي في رأينا كبيرة جدا، بل يمكنها أن تقسم إلى عدة فضاءات تستغل لتخزين المجموعات بطريقة ملائمة، و تتماشى مع المقاييس العالمية للحفظ و لا تؤثر سلبا على تلفها.

الملحقات التابعة للمخزن الأثري :

إذا أردنا إنجاز مخزن أثري مرفق بمجموعة من الملحقات التابعة له، يجب على المهندس أن يأخذ بعين الإعتبار العلاقة الوطيدة الموجودة بين المخزن و بين هذه الملحقات و التي تتمثل فيما يلي:

– قاعة الغسل و التنظيف (50 م^2): تُجهّز هذه القاعة بكل العتاد الضروري للقيام بعملية غسل التحف و تحضيرها إلى المراحل الأخرى.

– قاعة الجرد و التوثيق (60 م^2): تُخصّص هذه القاعة لجرد التحف و تسجيلها و توثيقها.

---

[3] - Jaoul, (M.), « Des réserves, pour quoi faire ? », dans : Muséum international, 188, (47,4), 1995, pp. 4-7.

- مخبر الرسم و التصوير الفوتوغرافي (30 م^2): تتمثل مهمة هذا المخبر في توثيق المجموعات بالرسم و التصوير الفوتوغرافي.
- مخبر الصيانة و الترميم (60 م^2): يقوم هذا المخبر بعمليات ترميم التحف.
- قاعة التلفيف و تحضير الحوامل (40 م^2): في هذه القاعة نقوم بتحضير الحوامل و تلفيف المجموعات.
- مساحة التخزين (160 م^2): تُخصّص هذه القاعة لتخزين التحف الأثرية في ظروف تتماشى و المقاييس الدولية لصيانة المجموعات.
- مكتب الباحثين (50 م^2): المساحة الأخيرة تخص مكتب الباحثين الذي يجب أن يجهّز بكل الوسائل اللازمة للقيام بالعمل على أكمل وجه و بدون عوائق.

تهيئة مخزن متحف جميلة

هناك بعض الشروط لا بد من احترامها و بعض الأعمال يجب أن تُطبّق في الميدان حتى يُهيّأ المخزن و يُنظّم أحسن تنظيم، و ذلك باتباع المقاييس الدولية لحفظ المعروضات داخل المتاحف عامة و المخازن خاصة، حيث سيتم ذلك من خلال عدة عناصر مهمة نستطيع تلخيصها في:

- تنظيم المخزن بحيث يكون دوره محددا و واضحا.
- أمن و ضبط الظروف البيئية، حيث يخصص أشخاص مختصون لمعاينة دخول و خروج التحف و كذا الوصول إليها.
- وحدات الترتيب (الرفوف) و حفظ الأدوات، حيث لابد أن تكون عناصر التخزين هذه مصنوعة بشكل جيد و منظم يسهّل على العاملين بالمخزن الوصول إلى التحف الأثرية دون عناء يؤدي إلى ارتكاب أخطاء تضر بالأدوات الأثرية المعروضة.
- الظروف البيئية التي تلعب دورا مهما في العرض، كقوة الضوء الناتجة عن فتح النوافذ أو ترك التحف معروضة بطريقة معرضة لعوامل التلف، كالغبار، الماء، تسرب الطفيليات.....إلخ.
- التفتيش و الصيانة و يتمثل ذلك في وجوب إبقاء المخازن نظيفة حيث يتم ذلك بتفتيشات منتظمة تمكننا من فحص حالة التحف و بالتالي الكشف عن أي شذوذ.

إن حالة المجموعات داخل المخازن (مخزن متحف جميلة) تبيّن النقص الفادح و العجز الكبير فيما يخص الإستقرار، تكييف الهواء، طريقة التخزين، أنواع الحوامل و التلفيف. في رأينا، لقد حان

الأوان لأن نتحرك و نتدارك هذه الوضعية الحرجة و الإختلالات الخطيرة في سير العمل الملاحظ في صيانة و حفظ و دراسة الأثاث الأثري.لقد أصبح من الضروري و المستعجل جدا أن يجتمع كل المختصين في التراث، و المتدخلين في ميدان تسيير الأثاث الأثري (أثريون، محافظون، مسيّرو التراث......) على موضوع يفكّرون فيه حول الوضع الحالي لمؤسسات صيانة المجموعات و مشاكلهم، ثم الإقتراحات اللازمة للقيام بعمل فعّال لمعالجة هذه الوضعية.

ما نقترحه هو إنشاء لجنة وطنية ستُكلّف بتفحّص و تقدير وضعية شبكة المستودعات الأثرية (مخازن المتاحف، مستودعات المواقع الأثرية، مخابر البحث....) و إعداد مخطط عمل، على المدى القريب أو المتوسط، يُحدّد الأولويات و الإحتياجات في ميدان صيانة و ترميم المجموعات الأثرية بمختلف المناطق، و تحضير إقتراحات لتحسين حالة التجهيزات و ظروف تخزين التحف.يجب على البرامج المستقبلية للبحوث الأثرية أن تأخذ بعين الإعتبار الصعوبات الكبيرة التي يطرحها تسيير و صيانة الأثاث الأثري؛ الأوامر و التعليمات التي تصاحب أو ترافق تراخيص و قرارات البحوث، يجب أن تحدد مصير الأثاث الأثري بعد الحفريات، و تبيّن مسار المكتشفات و أماكنها النهائية للتخزين؛ كما يجب على ميزانيات أعمال الحفريات أن تضيف خانات أخرى خاصة بصيانة و استقرار التحف الأثرية.